

## مقومات المواطنة في خطاب جمعية العلماء المسلمين

## The elements of citizenship in the speech of the Association of Muslim Scholars



ط.د/ موري محمد

جامعة مولاي الطاهر سعيدة (الجزائر)

[mohamed.mouri@univ-saida.dz](mailto:mohamed.mouri@univ-saida.dz)

أ.د/ عبد القادر عبد العالي

جامعة مولاي الطاهر سعيدة (الجزائر)

[abdelaliabk@gmail.com](mailto:abdelaliabk@gmail.com)

تاريخ النشر: 2022/ 06/05

تاريخ القبول للنشر: 2022/ 04/17

تاريخ الاستلام: 2021/ 09/16

**ملخص :** للوطن و الوطنية و المواطنة مكانة خاصة في خطاب شيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بل مثل جوهر اهتمامهم سواء كتابة او ممارسة ، بالرغم ان الجمعية محسوبة على التيارات الاسلامية الحديثة التي اهتمت بتجديد الخطاب الديني و ذلك باعادته لمنابعه الاصلية السلفية (القرآن و السنة) ، لكنهم اهتموا بجعل خطابهم يتماهي مع ما وصل اليه الفكر الانساني بخصوص بعض القيم الاجتماعية و السياسية و التي لا تتعارض مع جوهر الدين الاسلامي و رؤيته الكلاسيكية للدولة و الفرد و المجتمع ، و هو ما حاولنا تفكيكه بخصوص قيم المواطنة و رؤيتهم لها .

**الكلمات المفتاحية :** المواطنة، الخطاب، جمعية العلماء المسلمين.

**Abstract :** The homeland, patriotism and citizenship have a special place in the discourse of the elders of the Association of Algerian Muslim Scholars, but it represented the essence of their concern, whether in writing or in practice, although the association is affiliated with modern Islamic currents that have been interested in renewing the religious discourse by returning it to its original Salafi sources (the Qur'an and the Sunnah), but they were interested in making their discourse identical with what human thought reached regarding some social and political values that do not contradict the essence of the Islamic religion and its holistic vision of the state, the individual and society, and this is what we tried to deconstruct regarding the values of citizenship and their vision of it.

**Key words:** citizenship, discourse, Association of Muslim Scholars.

## مقدمة :

يجد المتتبع لخطاب الشيوخ المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأن ملفوظات الوطن، الوطنية والمواطنة تكررت بطريقة لافتة، تفوقت على غيرها من الملفوظات الأخرى، ويعود هذا بالأساس الى البيئة الاجتماعية التي نشأوا فيها وإلى السياق التاريخي السياسي لتطور الفكر الوطني، حيث افتقد الوطن و أصبح مجرد ملحقة تابعة لسلطة استعمارية حاولت محوه من الوجود لإثبات أحقيتها في التواجد، ومارست ذلك من خلال انتاج نخب تدين بالولاء للمستعمر الفرنسي، لحد أن بعضها أنكرت في خطاباتها وجود أمة متميزة بخصائصها ومكوناتها الهوياتية والجغرافية والسياسية، فإلغاء الدولة ككيان خاص بالمسلمين الجزائريين والتابعين للخلافة العثمانية عبر الإحتلال العسكري لحقه محاولات إلغاء تام للهوية الذاتية والجماعية للفرد الجزائري، ما جعل "الجزائر الدولة" مجرد مقاطعة من مقاطعات ما وراء البحار، وحرّم الفرد الأهلي الجزائري من أبسط حقوقه وحرّياته، فأصبح الوطن مفقودا والسعي لتحريره هو أسمى الأهداف وأجلها عند الوطنيين الجزائريين بمختلف توجهاتهم الاصلاحية والثورية، فأصبح مصطلح الوطن والوطنية مفاهيم لازمة في كل نصوص وممارسات جمعية العلماء المسلمين التي نشأت كحركة إصلاحية، لأن الوطنية والمواطنة مفهومان متداخلان ومتكاملان، إذ لا مواطنة بلا وطنية، ولا وطنية بلا حقوق مستحقة وواجبات ينبغي أداؤها من أجل الوطن، ومن هنا كان امامهم تساؤل عميق : هل وجب الخضوع لسلطة الأمر الواقع الاستعمارية مقابل طلب الحقوق منها؟ مع الأخذ بالإعتبار أن من يملك السلطة يرفض الإعتراف بوجود الوطن كشعب وجغرافيا وهوية أصلا، وينظر للجزائريين بوصفهم أقل من أن يستحقوا حقوق المواطنة بل مجرد أهالي.

**الاشكالية:** كيف تجلت مفاهيم الوطن والوطنية والمواطنة في أفكار وطروحات شيوخ جمعية العلماء المسلمين؟ ماهي مقومات المواطنة ونظرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إليها؟

**الفرضية:** يؤدي الخطاب المكثف حول الوطن والوطنية لدى الحركات الإصلاحية المحلية دورا في تعزيز الهوية الوطنية والتمايز عن الإستعمار الاستيطاني. يمكن شرح هذه الفرضية بإيجاز كالتالي: ركز العلماء الجزائريين في خطابهم على مفاهيم الوطن، الوطنية والمواطنة عن قصد لتعزيز الشعور الوطني الملهم نحو تغيير الواقع كما أكدوا على البعد الهوياتي لتذكير الجزائريين بتميزهم واختلافهم عن المعمرين (الدين و اللغة)، لدفعهم للمطالبة بالحق في الإستقلال والحرية.

## 1. تفكيك لمفاهيم متداخلة (الوطن ، الوطنية والمواطنة) :

وردت كلمة "الوطن" في اللغة العربية و استخدمتها الشعوب التي تتكلم بها خصوصا في شمال افريقيا، واقتصر معناها على مدلول إجتماعي، وليس بمعناه السياسي الذي ظهر حديثا، إذ جاء بمعنى الإقامة والمحل الذي يقيم فيه الإنسان ويمارس من خلاله وظائفه الحياتية، فقد جاء في معجم المعاني الجامع "وَطَنٌ فلانٌ بالمكان : أقام به، سكّنه وألفه واتّخذهُ وَطَنًا. وَطَنٌ فلانًا :أنزله سكناً يُقيم فيه. وَطَنٌ البدو: نزلهم من

حال البداوة والترحال إلى الإقامة الدائمة، حضّرهم (قاموس المعاني، بلا تاريخ). فالوطن يمكن التعبير عنه بأنه تلك الرقعة الجغرافية التي يسكنها شعب ما ويتقاسم مجموعة من القيم المشتركة.

أما الوطنية فقد عرفت الموسوعة العربية العالمية بأنها: تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد، والفخر بالتاريخ، والتفاني في خدمة الوطن (الموسوعة العربية العالمية الوطنية، ص 110، 1996). كما عرفت على أنها "الشعور الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة، ويملأ قلوبهم بحب الوطن والجماعة، والاستعداد لبذل أقصى الجهد في سبيل بناءها، والاستعداد للموت دفاعاً عنها" (جابر، 2011). وتعني الوطنية أيضاً: "التعبير الصادق عن الانتماء للوطن بالقول والعمل، والإسهام الفعال في الدفاع عن الوطن ضد أية تحديات خارجية، والإسهام في تقدمه ورفعته وإعلاء شأنه بين الأوطان. وعليه فإن مقياس الوطنية هو: مقدار الرصيد الوطني الذي يُسجله كل مواطن من أجل الوطن" (فرجاني، 2014، ص 11). و عليه الوطنية يمكن اعتبارها ذلك الارتباط بالوطن كأرض و كشعب و كهوية و الدفاع عن القيم و اللغة و الدين و كل ما يمثل رأسمال ثقافي للمجتمع. ولكن من الجدير بالانتباه ضرورة الفرق بين الوطنية في بعدها القومي Nationalisme والوطنية والتي تعني ايديولوجية سياسية تتضمن الادعاء بوجود علاقة عضوية وتاريخية بين الشعب والأرض الذي يسكنها، وبمعنى patriotism والتي تعني الاهتمام والتمسك بأرض الوطن ومصالحه.

أما المواطنة فيعود مفهومها ومدلولها المؤسس إلى عهد الحضارة اليونانية القديمة، والكلمة مشتقة من (Polis) وكانت تعني المدينة باعتبارها بناء حقوقيا ومشاركة في شؤون المدينة، أما في العربية فقد استخدمت في الغالب كلمة المواطنة لترجمة للكلمة الفرنسية (Citoyenneté) وهي مشتقة من كلمة cité (فرجاني، 2014، ص 18). مما يجعل مدلولها المطابق للمصطلح الأصلي محل نزاع ونقاش، لأن كلمة المواطنة بمعناها اللغوي العربي، فلا يوجد مرادف لها في القواميس العربية، فهي مشتقة من "وطن"، وهو بحسب كتاب "لسان العرب، لابن منظور"، الوطن وهو المنزل الذي تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحلّه.. واستوطنت الأرض أي اتخذتها وطناً، وتوطن النفس على الشيء كالتمهيد (ابن منظور، 2005، ص 239). أما المواطنة بوصفها حقوق وواجبات فقد عرفت الموسوعة العربية العالمية المواطنة بأنها: "اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن" (فرجاني، 2014، ص 18). أما في الموسوعة الدولية للعلوم السياسية، فيقر ييف ديلوي بأنه مفهوم معقد ومتعدد الاستعمالات، وأنه يعني ثلاثة مدلولات أساسية: "أ. وضع قانوني للعضوية في مجتمع سياسي، (ب) وضعية تعتبر شرطاً للمشاركة السياسية للمواطنين في الأداء الديمقراطي للمجتمع، (ج) وضع يمنح الأفراد إحساساً بالمواطنة يختلف عن هوياتهم الاجتماعية والثقافية الأخرى" (Deloye, 2011, p238).

## 2. مفهوم المواطنة وارتباطها بحقوق الإنسان:

نشأ مفهوم المواطنة في الغرب نظر للانتقال من مفهوم الحق الطبيعي للإنسان إلى الحقوق المدنية النابعة من الشرط التعاقدي بين طرفين هما الدولة والفرد، حيث شكلت نظرية العقد الاجتماعي أساس هذا التعاقد، فالمواطنة هي "مكانة أو علاقة اجتماعية بين شخص طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني مهمة الحماية، وتحدد هذه العلاقة

بين الشخص والدولة عن طرق القانون كما يحكمها مبدأ المساواة، (غيث، 1995، ص56). كما ساهم ظهور منظمة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية في تجسيد ذلك من خلال المعاهدات والمواثيق الدولية، ويعتبر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948، من أهم ما أصدرته هذه المنظمة في منتصف القرن الماضي حيث جاء في مادته الأولى: "يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا ضميراً وعلمهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء". ويشير "كوهين Cohen"، إلى ثلاثة عناصر متميزة للمواطنة من حيث كونها أولاً مكانة قانونية تتحدد بموجها منظومة من الحقوق والواجبات للأفراد المواطنين التابعين لهذه الدولة، وثانياً المواطنة كوجدان وانتماء، أي شعور الأفراد بالانتماء لهذه الدولة، مما يعزز لديهم المشاركة بفعالية في الحياة السياسية والاجتماعية، وثالثاً المواطنة كممارسة ومشاركة من خلال شعور الفرد بعضويته في الدولة فيبادر إلى العمل بنشاط في استعمال حقه والقيام بواجبه (J. Cohen, September 1999, 245-248). تعرف الموسوعة العربية العالمية المواطنة بأنها "اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن" (الموسوعة العربية العالمية الوطنية، 1996، ص311). أما في قاموس علم الاجتماع تم تعريفها على أنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون" (خلف، 1420هـ، ص56). وينظر إليها فتحي هلال وآخرون من منظور نفسي بأنها الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية" (خلف، 1420هـ، ص25). استمدت المواطنة مفهومها و ماهيتها كحقوق وواجبات، إذ لا يمكن أن يكتسب المواطن حقوق المواطنة ما لم تتضمن حقوقه الأساسية كإنسان و عليه فحقوق الإنسان لبنة هامة من لبنات المواطنة، فهي تتضمن حقوق المواطن والتي هي جزء لا يتجزأ من حقوقه كإنسان، خاصة بعد ترسيخ وانتشار الدولة-الأمة ومفهوم "دولة القانون" الحقوقي والدستوري، وتأسيس منظمة الأمم المتحدة، وكتابة المواثيق والعهود الدولية ودخولها حيز التنفيذ، بحيث لم تعد مسألة حقوق الإنسان شأنًا داخلياً لكل دولة بل صارت قضية عالمية، فالحقوق الأساسية للإنسان هي جوهر حقوق المواطنة. التمتع بمنظومة الحقوق الإنسانية في كنف الدولة الوطنية يقابله التزام أفراد المجتمع ضرورة القيام بتحمل المسؤوليات والواجبات تجاه هذه الدولة، خاصة الواجبات المدنية والسياسية، كاحترام الدستور وقوانين الدولة وأداء الخدمة الوطنية، الدفاع عن الوطن في حالة الأخطار، واحترام رموز ومؤسسات الدولة...

### 3. مقومات المواطنة ورؤية جمعية العلماء المسلمين لها

مما تقدم من تعاريف للمواطنة يتبين أنها ليست وضعية جاهزة يمكن تجليها بصورة آلية عندما تتحقق الرغبة في ذلك، وإنما هي سيرورة تاريخية ودينامية مستمرة، وسلوك يكتسب عندما تتهيأ له الظروف الملائمة، وهي ممارسة في ظل مجموعة من المبادئ والقواعد، وفي إطار مؤسسات وآليات تضمن ترجمة مفهوم المواطنة على أرض الواقع؛ وإذا كان من الطبيعي أن تختلف نسبياً هذه المتطلبات من دولة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر بسبب اختلاف الثقافات والحضارات، والعقائد والقيم، ومستوى النضج السياسي، فإنه لا بد من توفر مجموعة من المقومات الأساسية المشتركة، ووجود حد أدنى من الشروط التي يتجلى من خلالها

مفهوم المواطنة في الحياة اليومية للمواطنين، وفي علاقاتهم بغيرهم، وبمحيطهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

انطلاقاً مما اسلفنا نجد أن مفهوم الوطن عند ابن باديس يرتبط مباشرة بالهوية الدينية و اللغوية يقول: "إن إدراك معنى الوطن لدى ساكنيه يعني بالضرورة إدراكهم لذواتهم التي لا شأن لها إلا به وفيه، كما يقول ابن باديس في موضع آخر: "...لا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه" (شريط، ص249)، وهذه الطروحات و الرؤى وغيرها استطاع ابن باديس إعادة مفهوم الوطن إلى أذهان الجزائريين بعد أن أضحت معالمه غائرة وغير واضحة المعالم، ولا تجري على الألسن بمعناها الطبيعي والاجتماعي (طالبي، 2009، ص468)، فكان عندئذ تخلص هذا الوطن مما ابتلي به من مصائب ونكبات هو النقطة المركزية التي تمحورت حولها كافة جهوده ومحاولاته الإصلاحية المتنوعة (سلواوي، 1984، ص211) أما الوطنية فقد عرفها ابن باديس على أنها تلك "العلاقة بين الأمة والوطن والتي تنشأ عنها "الوطنية" فإننا ننظر إليها من حيث أن حب الوطن "المكان" يتضمن بالضرورة حب المواطنين الذي تنتمون إلى هذا الوطن، كما أن حب الأمة يتضمن في الوقت نفسه حب الأرض التي تعيش عليها تلك الأمة" (الحصري، 1985، ص263)، وفي هذا المضمار كان خطاب الرئيس المؤسس واضح وجلي، فهو يطالب بحقوق المواطنة كما هو متعارف عليها عالمياً و إنسانياً يقول "...أن يكون لشعب ما لشعب آخر من حقوق مدنية واجتماعية وسياسية مثل ما على الآخر من واجبات اشتراكا في القيام بها لظروف ومصالح ربطت ما بينهما" (قاسم، 1968، ص79) و قد لخص ابن باديس ذلك في مبادئ و أهداف جمعية العلماء في سنة 1935 بصياغته لشعار "القرآن أماننا، والسنة سبيلنا، والسلف الصالح قدوتنا، وخدمة الإسلام والمسلمين، وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا" (سعد الله، 1992، ص86). وهذا يبين على أن الوطن والوطنية والمواطنة مصطلحات مترابطة في خطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين، وأنها ترتبط بالولاء للهوية الثقافية والدينية، وتتأسس في الممارسة العملية على المساواة والمشاركة، مما يعني أن المقومات الأساسية للمواطنة عنده تتمثل في:

### 1.3 الولاء للوطن:

ويعني أن الرابطة التي تجمع المواطن بوطنه تسمو عن العلاقات القبلية والعشائرية والحزبية، ولا خضوع فيها إلا لسيادة القانون، وأن هذه الرابطة لا تنحصر في مجرد الشعور بالانتماء وما يطبع ذلك من عواطف، وإنما تتجلى إلى جانب الارتباط الوجداني، في إدراك واعتقاد المواطن بأن هناك التزامات وواجبات نحو الوطن لا تتحقق المواطنة دون التقيد الطوعي بها. المواطنة و الهوية عند الشيوخ الجمعية و على رأسها الرئيس و المؤسس ابن باديس هو ربط عضوي لا انفصام بين استعادة الهوية المسلمة لتحقيق الكينونة الفردية و الجماعية: "كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسيتهم، أو لغتهم، أو دينهم، أو تاريخهم، أو شيء من مقوماتهم محاولة فاشلة مقضي عليها بالخيبة والواقع دل على هذا" (شريط، ص249). و يضيف إليها في مقالة أخرى: "المواطنة الحقيقية لا تكون تحت قوانين تمييزية (قانون الاهالي)، ابن باديس ينطلق في فكرته هذه مما كان الاستعمار الفرنسي يريد فرضه على الأمة الجزائرية، أي أنه يطلب منها واجبات ولا يعطيها حقوقاً لأن كلتا الأمتين لا تشتركان في الجنسية القومية، وعلى هذا الأساس فإنه من المستحيل بقاء

الوضع كما هو عليه وإنما لا بد، إما أن يندمج أضعف الشعبين إلى أقواهما بانسلاخه من مقوماته ومميزاته فينعدم من الوجود، وإما أن يبقى الضعيف محافظا على مقوماته ومميزاته فيؤول أمره -ولا بد- إلى الانفصال (طالبي، 2009، ص352)، و يفصل الشيخ البشير هذه المسألة بإعطاء توصيف موجز للوطن المقصود بالولاء بقوله: "هذه النقطة التي تعرب عن نفسها وتسفه كل من يريد تغطيتها هي أن الجزائر وطن بربري قبل الإسلام يضم جماهر القبائل البربرية وأصولها الأولى، ووطن عربي إسلامي منذ دخله الإسلام يصحب ترجمانه الأصيل وهو اللسان العربي، فمنذ ثلاثة عشر قرناً انتقل هذا الوطن من صبغة إلى صبغة، من صبغة جنسية ليس معها ما يعصمها من الألوان الروحية إلى صبغة جنسية معها ما يحميها من الانحلال والتقلب وهي العروبة المعتصمة بالإسلام" (الابراهيمي، ص378).

### 2.3 المساواة وتكافؤ الفرص:

تعني المساواة كمقوم رئيسي للمواطنة أنه لا مجال للتمييز بين المواطنين على أساس الجنس أو اللون أو الأصل العرقي أو المعتقد الديني أو القناعات الفكرية، أو الانتماء والنشاط السياسي والنقابي و الجمعوي، واختلاف الفئات وصفاتها وانتماءاتها لا يجعل أيًا منها أكثر حظا من غيرها في الحصول على المكاسب والامتيازات، كما لا يكون سببا في انتقاص الحقوق أو مبررا للإقصاء والتهميش. وحسن تدبير الاختلاف والتعدد لا يتم إلا في إطار المواطنة التي تضمن حقوق الجميع. لا تتحقق المواطنة إلا بتساوي جميع المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات، وتتاح أمام الجميع نفس الفرص، ويعني ذلك التساوي أمام القانون الذي هو المرجع الوحيد في تحديد تلك الحقوق والواجبات. وهنا نجد ابن باديس داعية تفاعل و تكامل مع الآخر خاصة في المشتركات الانسانية وله رؤية واضحة بخصوص المساواة امام القانون إذ يقول: "إنما ينفع المجتمع الانساني و يؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر الى ماضيه و حاله و مستقبله... و مد يده لبناء المستقبل يتناول من زمنه و أمم عصره ما يصلح لبناءه معرضا عما لا حاجة له به أو ما لا يناسب شكل بناءه الذي وضعه على مقتضى ذوقه و مصالحته (طالبي، 1997، ص17)، و يضيف مقدما تعريفا للجمعية و رؤيتها لمشروع المجتمع الذي تنشُد تحقيقه و علاقاتها بباقي المكونات و الاطراف و الاحزاب على الساحة، و فيما تتقاطع فيه معهم: "إن جمعية العلماء ليست حزبا ولا هيئة لأفراد، فهي لجميع الجزائريين المسلمين الذين تجمعهم لغة واحدة وعقيدة واحدة، وهي تتمتع بعطف جميع الديمقراطيين لأنها تعترف بالديمقراطية وحقوق الإنسان، إذ الإسلام يقر العدالة الاجتماعية، وهو قد أسس للهداية لا للاستعمار ولا يمكن أن يتلاقيا، لأن الاستعمار يحارب الكمالات الإنسانية والإسلام يحافظ عليها. فنحن بجانب الحركات التحريرية لأننا مدافعون عن ناحية من نواحي التحرير في الجزائر، الدفاع عن الإسلام والعربية.. وإننا مستعدون للمشاركة في النهضة السياسية، لأن السياسة تدخلت في الدين، وإننا نشاهد أن موقف فرنسا من الإسلام في الجزائر موقف شاذ ويتسم بالتناقض بين الأيديولوجية الرسمية للجمهورية الفرنسية القائمة على العلمانية والحياد تجاه الأديان، و محاولتها التحكم في المساجد و الطرق و الهيئات الاسلامية الاهلية، كما يدعو صراحة إلى بُغض الاستعمار وحمل بُغضه في الصدور في الحياة وفي القبور (ابن باديس، 1951)، ويؤكد في موضع خطابي آخر ما يؤكد و يعزز طرحه و رؤيته للدولة المنشودة،

حيث يعتبر أن الدولة عليها أن تقبل كل مواطنيها و تعاملهم بما تقتضي القوانين على قدم المساواة حتى مع غير أهل الكتاب: "نعم نهضنا نهضة بنينا على الدين أركانها فكانت سلاما على البشرية لا يخشاها -والله- النصراني لنصرانيته و لا اليهودي لهوديته بل ولا المجوسي لمجوسيته ولكن يجب والله أن يخشاها الظالم لظلمه والدجال لدجله والخائن لخيانته" (طالبي د، 1997، ص557)، لا مواربة ان تهر قيم المواطنة تتجلى بمعناها الحديث و المعاصر باعتبارها جوهر الدولة القومية الحديثة.

### 3.3 المشاركة في الحياة العامة:

لا تكفي المساواة والتكافؤ في القوانين المسطرة، والأنظمة المتبعة وفي الممارسة وحدها لكي يتجلى مبدأ المواطنة، وإنما لابد كذلك من المشاركة الفعلية للمواطنين والمواطنات في الحياة العامة، فالمشاركة تعني توفر فرص الانخراط التلقائي في مختلف مجالات الحياة العامة وحقوقها، والمشاركة في الحياة العامة تعني إمكانية ولوج جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بل و تكون متاحة أمام الجميع دون أي ميز او تفریق، فعندما تتاح الفرص المتكافئة للمشاركة أمام كل الكفاءات والطاقات يكون المجال مفتوحا للتنافس النوعي الذي يضمن فعالية النخب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويضفي الحيوية على المشهد الوطني، مما يساهم في خلق واقع ينشد التطور المتواصل والارتقاء المستمر. فالمشاركة السياسية ركن أساسي عند ابن باديس يسعى لتحقيقه بواقعية و مرحلية دقيقة، فالسياسة هي جوهر عمله وخطابه رابطا بينها وبين العلم والتعليم اللذان جعل منهما منهجا وأسلوبا، "...كلامنا اليوم عن العلم والسياسة معا، وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصاد على العلم و الابتعاد عن مسالك السياسة، مع أنه لابد لنا من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجِد" (قورصو، 2005، ص115)، ما جعل الدكتور محمود قاسم يصف ابن باديس بأنه: "رجل سياسة من طراز فريد في هذه الفترة الحرجة من تاريخ وطنه، وأنه كان أكثر واقعية وأصدق حدسا ممن أسهموا في تخطيط السياسة الجزائرية في عصره" (قاسم، 1968، ص79)، و نجده في مواطن عديدة يطالب الإدارة الاستعمارية بمنطق الممكن المتاح حينئذ بضرورة إشراك الجزائريين في إدارة شؤونهم، "أن يكون لشعب ما لشعب آخر من حقوق مدنية واجتماعية وسياسية مثل ما كان عليه مثل ما على الآخر من واجبات اشتراكا في القيام لها لظروف ومصالح ربطت ما بينهما (قاسم، 1968، ص79)، مستهجننا على السلطة الاستعمارية مطالبتها الجزائريين بوجوب احترام القوانين، و التي تركزت في مجملها على الواجبات تجاه السلطة القائمة (كالخدمة العسكرية، أداء الضرائب، احترام رموز الدولة المستعمرة ..) وعدم تمكينهم حتى من أدنى الحقوق كالتعليم والطبابة، والعمل والتعيين في المناصب، كما له في ذلك كلام غاية في الوضوح في المؤتمر الاسلامي سنة 1936 سواء باسمه الشخصي أو باسم جمعية العلماء، حيث قدم فيه مُلخَصًا عن مطالب جمعية العلماء ضمن قسمين منها هي: مطالب فردية عن طريق شخص ابن باديس تناولها باسمه، تضمنت: الحق في المساواة بين الجزائريين المسلمين والأوروبيين في المجالس النيابية وإلغاء المعاملات الخاصة مثل قانون الأهالي، ومطالب تقدّم بها باسم جمعية العلماء، تمثلت في فصل الدين عن الدولة، وتحرير اللغة العربية من خلال التعليم الديني واللغة العربية، وتحرير القضاء الجزائري من خلال

قضاء شرعي على أساس العدل والمساواة واستحداث مدارس لتكوين القضاة الشرعيين (الشهاب، 1936، ص- ص (310،313))

إذا كانت المشاركة في الحياة العامة للوطن تعتبر إحدى أهم مقومات المواطنة فإن المشاركة السياسية تعتبر في القلب منها والسعي لإيجاد الظروف المواتية لتلك المشاركة وما يتطلب من نضال في سبيل تحقيق ذلك، وفي هذه الناحية وبسبب عمليات التزوير المتكررة التي شهدتها الحياة السياسية في الجزائر تحت الحكم الاستعماري الفرنسي، فقد توالى الانتخابات المزيفة ما بعد أحداث 8 ماي 1945 إلى قيام الثورة التحريرية (الزيري، 1984، ص28)، مع العلم أن سلطة الاحتلال قامت بتزوير مختلف الانتخابات، خاصة تزوير عام 1948 والانتخابات البرلمانية في 17 جوان 1951، التي خرجت بفوز أغلبية لم يخترهم الشعب الجزائري (FARES, 2006, p47). فكان قادة الاستعمار في الجزائر وعلى رأسهم الحاكم العام "نايجلان" يصرحون بأنّ التزوير كان لابدّ منه، حيث قال: "لقد كان لنا الاختيار بين انتخابات يزيّفها حزب الشعب الجزائري و انتخابات تزيّفها الإدارة فاخترنا الأخيرة" (الزيري، 1984، ص33). هنا تأسست الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها 1951، والتي كانت جمعية العلماء المسلمين من أهم الفاعلين الذين ساعدوا في ظهور فكرة إنشاء جبهة موحدة ضد سياسة التسلط الاستعماري، تشمل مختلف التيارات السياسية من أجل الدفاع عن الحريات واحترامها والوقوف في وجه السلطة الاستعمارية، و وجوب احترام الشعب في اختيار ممثليهم و إحترام الشؤون الإسلامية (العلوي، 1985، ص 234). ومن أجل ذلك، ومن أجل العمل على تحقيق أهدافها الوحدوية قامت هذه الجبهة لتحقيق جملة من الأهداف، وتتمثل أساسا في (المنار، 1952): إلغاء الانتخابات التشريعية المزعومة التي جرت في 17 جوان 1951 والتي كانت نتيجتها في الواقع تعيين الإدارة أشخاصا لم يكلفهم الشعب الجزائري بتمثيله، وينكر عليهم الحق في التحدث باسمه، احترام حرية الانتخاب، احترام الحريات الأساسية؛ (حرية الضمير - الفكر - الصحافة - والاجتماع)، محاربة القمع بجميع أنواعه لتحرير المعتقلين السياسيين وإلغاء التدابير الاستثنائية، الواقعة على مصالي الحاج، إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الدين الإسلامي (قضية فصل الدين عن الحكومة الاستعمارية).

#### 4. ترسيخ البعد الهوياتي للمواطنة عند جمعية العلماء المسلمين

يتضح من خلال العرض السابق أن خطاب المواطنة عند جمعية العلماء المسلمين ارتبط ارتباطا عضويا بمفهوم الهوية وتأکید الوطنية الجزائرية التي تختلف عن الوطنية الفرنسية، لأن ظروف الجزائر الخاصة تحت الاستعمار الفرنسي اختلفت كثيرا عن ظروف كثير من البلدان العربية والإسلامية التي وقعت تحت قبضة الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث. اذ ليس هناك بلد عربي أو إسلامي ألحق إلحاقا كليا بدولة الاستعمار مثل الجزائر، وليس هناك بلد عربي أو إسلامي أنكر عليه المحتل الغاصب جنسه ولغته وقوميته مثلما حدث في الجزائر، فقد أصدرت الحكومة الفرنسية في الجزائر قرارا في عام 1938م، يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية لا يجوز تعلمها وتعليمها إلا وفق هذا الاعتبار. وهذا ما فسر لنا تلك الحرب الصليبية التي شهدتها رجال الإحتلال الفرنسي والمبشرون المسيحيون وهم الطليعة الأولى للاستعمار الأوروبي في الأقطار العربية الإسلامية على اللغة العربية والدين الإسلامي، والقرآن الكريم، والثقافة العربية الإسلامية طيلة

وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1830 - 1962) (الابراهيمي م، 1955). ولذلك تمحورت أهداف جمعية العلماء حول هذا البعد في (بوحوش، 1987، ص، ص (246-247):

- إحياء الدين الإسلامي وتطهيره من الشوائب والمخلفات الخرافية العالقة منذ قرون.
- العمل من أجل بعث روح الأمة بتطوير الثقافة العربية الإسلامية.
- الاعتماد على نشر العربية والثقافة الإسلامية.
- السعي لتوحيد صفوف أبناء الأمة.
- توعية نشء الأمة بالشخصية الجزائرية وتهيئته للنضال في المستقبل.
- إقامة جسور للتعاون بين الجزائر والعالم العربي.
- الدعوة لتوحيد الجهود المشتركة بين أبناء المغرب العربي.

ويكرر الشيخ البشير الذي كان أبرز من ركزوا على هذا البعد في أحد خطباته بقوله: "إن جمعيتكم هذه أسست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة، وهما إحياء الدين الإسلامي و إحياء مجد اللغة العربية" (الابراهيمي أ، 1997، ص139). وهو يعكس تأثره بالحركة القومية العربية ونموذج الدولة الواحدة ذات اللغة الواحدة، ومن الذين يعتبرون بأن اللغة القومية الموحدة كضرورة وحتمية لتوحيد مشاعر الأمة الجزائرية وإظهار تميزها عن مستعمرها فيقول: "أيها الاخوان لو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران، ولو لم تكن لغة متسعة الأفاق، غنية بالمفردات والتراكيب، لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس والهند ولألزمتمكم الحاجة آلة العلوم تعليم تلك اللغات، ولو فعلوا لأصبحوا عربا يعقول فارسية وأدمغة فارسية.. لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم" (الابراهيمي أ، 1997، ص374). لذا فمن الطبيعي أن كانت جمعية العلماء تعتبر أن أشرف أعمالها تعليم العربية، قد أقامت خمسة عشر عاما تطالب بدون كلل ولا ملل بحرية التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني، وما زالت تصرع العوارض الحائلة، وهي عوارض القرارات الإدارية و القوانين الموضوعية لخنق العربية وقتلها، وما زالت الجمعية تنكر تلك القرارات وتقول عنها في صراحة: أنها قرارات جائرة (عبدالرحمان، 2020)، إن العمل على تعزيز التميز الهوياتي للجزائريين عن المستعمر وعن المستوطنين الفرنسيين المسيحيين مثل قلب وروح العمل الذي قامت به جمعية العلماء ليستشعر كل جزائري حقه فيما هو أهم من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية، ألا وهي الحقوق السياسية والثقافية وعلى رأسها الحق في الاستقلال التام عن فرنسا.

## 5. خاتمة :

نجد جل مقومات المواطنة بمعناها الحديث تحتل حيزا في خطاب وممارسات شيوخ جمعية العلماء، لكن تركيزهم الكبير كان على البعد الهوياتي للمواطنة بما يعنيه من الولاء للوطن والاعتزاز بلغته ودينه، هذا الاهتمام لم يأتي اعتباطا خاصة وأن هناك من أبناء الوطن من أصبحوا ينكرون صراحة وجود أمة اسمها الجزائر في وقت من الأوقات. ان فقدان الوطن هو ما جعله كلفظ و كمفهوم من أهم المفاهيم قربا إلى وجدان وخطاب العلماء وعند ابن باديس بالخصوص، ولذلك اتخذ منه شعارا لمجلته "المنتقد" "الحق فوق

كل أحد والوطن فوق كل شيء"، و رأى أن هذه الكلمة لها معاني دلالية واصطلاحية ترتبط بمسائل طبيعية وأخرى اجتماعية. ينقل الشيخ المؤسس عن الشيخ محمد عبده قوله عن الوطن: "قطعة من الأرض خلقها الله منها (الأمة) ومنحها لها، وإنها هي ربها وصاحبة الحق الشرعي والطبيعي فيها، سواء اعترف لها من اعترف وجحد من جحد" (عمارة، 1972، ص344). كما ركز شيوخ جمعية العلماء في خطابهم نصوصا وممارسة على الوطنية كولاء للوطن محاولين إبراز البعد الهوياتي للجزائريين الذي يجعل منهم متميزين عن المعمرين الفرنسيين، سواء في جانب الدين أو اللغة، كما حاولوا تحرير الوعي الديني من الخرافات باعتباره أساسا للتحرر من ربقة الإستعمار وتحرير الجزائريين من ذهنية الاستسلام والخضوع بالتحريض على ضرورة المطالبة بالمواطنة كحقوق وواجبات ضمن الدولة التي سلبتهم الشخصية الذاتية، رغم اهتمامهم بهذا الجانب كدعوتهم للمشاركة السياسية وتحالفهم مع الأحزاب السياسية والحركات التي كانت تطالب بتمكين الجزائريين من حقوقهم الإقتصادية والإجتماعية والسياسية مع التأكيد الدائم على الحقوق الثقافية للشعب الجزائري المختلف عن المعمرين الفرنسيين.

بالرغم من أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحسب على التيار الإسلامي العام الذي نشأ بعد سقوط الخلافة، إلا أنها لم ترى أن ثمة تعارضا بين المواطنة وأحكام الشريعة الإسلامية، كما زعم بعض قادة ومنظري التيارات الإسلامية، فالمواطنة في الأساس هي شعور وجداني ينبع من الارتباط بالأرض وبأفراد المجتمع الآخرين الساكنين على الأرض وهذا لا يتناقض مع الإسلام في شيء، بخلاف الفكر الأصولي المتطرف الذي يرى أن الوطن يمثل حفنة تراب عفنة يتناقض مع مقتضيات التوحيد بحسب فهمهم له. تظهر رؤية الشيخ ابن باديس للدولة الحديثة و المواطنة في القلب منها في مدحه لمصطفى كمال أتاتورك وراثه بعد وفاته كالإيمان وإيمان وإعجاب بما قام به، نظرا لقيام أتاتورك بإعادة بناء تركيا الحديثة على أسس وقيم الدولة القومية الحديثة والتي تقع في القلب منها المواطنة، وهذا يمثل سعة ادراك ابن باديس واستيعابه لمعطيات العصر، ويظهر أيضا مدى التغيير الذي حصل في الفكر السياسي الحديث كنتاج لنظرية العقد الاجتماعي والتي لا تتناقض في جوهرها مع السياسة الشرعية بحسب مفهوم ابن باديس، مع تحفظه على بعض قراراته كإلغاء صحيفة الأحوال الشخصية المستمدة من الشريعة الإسلامية.

## المراجع:

- Abderrahmane FARES. (2006). *La Cruelle vérité, 1945-1965*. *memoires politique*. éditions — Alger: Casbah.
- Deloye, Y. (2011). *Citizenship in: Bertrand Badie, Drik Berg-Schlosser, and Leonardo Morlino*. International Encyclopedia of Political Science: Sage Publications.

- Cohen J. (September 1999). *Changing Paradigms of Citizenship and the Exclusiveness of the Demos* (الإصدار)، London, Thousand Oaks, CA and New Delhi, (International Sociology). LONDON: SAGE PUBLICATIONS.
- ابن منظور. (2005). *لسان العرب*. دار صادر للطبع و النشر ط1.
- أبو خلدون ساطع الحصري. (1985). *الاعمال القومية للساطع الحصري*، ج3. بيروت ، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- أبو القاسم سعد الله. (1992). *الحركة الوطنية الجزائرية* ، ج3. الجزائر: دار الغرب الاسلامي.
- أحمد طالب الابراهيمي. (1997). *آثار الامام محمد البشير الابراهيمي* ج1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- أحمد طالب الابراهيمي. (بلا تاريخ). *محمد البشير الابراهيمي ، الجزء الرابع . تاريخ الاسترداد* 16 مارس، 2021 ، من ، القدس وعمان ودمشق وبغداد ومصر ، الجزائر وطن، ص378: <https://al-maktaba.org/book/32540/2658>
- الشهاب . (جولية ، 1936). عدد المؤتمر. عدد /المؤتمر ، الصفحات ص.ص 310-313.
- الشيخ محمد خلف. (1420هـ). *المواطنة الصالحة*. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ط1.
- المنار . (10 أكتوبر، 1951). ابن باديس و الاستعمار الفرنسي . *المنار*، العدد: 9، ص03.
- المنار. (فبراير ، 1952). *مطالب جبهة الاحزاب الرافضة لنتائج انتخابات 1951*. المنار.
- الموسوعة العربية العالمية الوطنية ،. (1996). *الموسوعة العربية العالمية الوطنية*. الرياض: مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر و التوزيع.
- بن بوزيان عبدالرحمان. (الثلاثي الثاني ، 2020). جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في إحياء تدريس اللغة العربية بتلمسان 1932-1947م. *مجلة اللغة العربية* ، صفحة 468.
- حسن عبد الرحمان سلوادي. (1984). *عبد الحميد بن باديس مفسرا*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- خيرى فرجاني. (2014). *مفهوم الوطن و المواطنة في الفكر السياسي المعاصر*. مصر الجديدة ، القاهرة: سلسلة اصدارات مركز دراسات و البحوث الاستراتيجية 2014.
- د.عمار طالبي. (1997). *آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس* ج2. الجزائر العاصمة:، الشركة الجزائرية لصاحبها عبد القادر الدودو.
- شريف محمد جابر. (2011). *الهوية الوطنية وتهافتها؛ شرعيًا وموضوعيًا*. تم الاسترداد من موقع الكتب الإسلامية : <https://ketabonline.com/ar/books/96812/read?part=1&index=2339753&page=47>

- عاطف غيث. (1995). قاموس علم الاجتماع. الاسكندرية ، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- عبد الله شريط. (بلا تاريخ). ، مشكلة الحكم في دولة الأمير عبد القادر ونظرية الشيخ ابن باديس. مجلة الثقافة (75).
- -عمار بوحوش. (1987). التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى غاية 1962 ط1. دار الغرب الاسلامي.
- عمار طالبي. (2009). ابن باديس حياته وآثاره. الجزائر: دار الامة.
- قاموس المعاني. (بلا تاريخ). قاموس المعاني. تاريخ الاسترداد 2021 ، من [/www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%88%D8%B7%D9%86//](http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%88%D8%B7%D9%86//):
- محمد البشير الابراهيمي. (1955). مشكلة العروبة في الجزائر (محاضرة) . ندوة الاصفياء (صفحة ص204). دار مصر للطباعة .
- محمد الطيب العلوي. (1985). مظاهر المقاومة الجزائرية 1830 - 1954 ، ط 1. قسنطينة، الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر.
- محمد العربي الزيري. (1984). الثورة الجزائرية في عامها الأول ط1. قسنطينة ، الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر.
- محمد عمارة. (1972). محمد عبده، الأعمال الكاملة، ج1. بيروت لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- محمد قورصو. (2005). عبد الحميد بن باديس، نصوص مختارة. الجزائر: منشورات ANEP.
- محمود قاسم. (1968). الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية. القاهرة ، مصر: دار المعارف.